الحقيقة المحمدية والعلم الحديث

الإسراء والمعراج والفقه الجديد

بقلم الأستاذ: حسنى طه شكيان

فى رحاب النور المحمدى نعيش ، وفى معراجه العلوى نرقى ، وفى قيادته العليا إلى نور الكمال وكمال النور نسمو ومن ذكرى إسرائه ومعراجه نستمد الدفعة فى تطورنا العلوى السعيد .

بين يدى هذه الذكرى العاطرة ، نقدم هذه الحلقة المشرقة بنور الله فى بحثنا الكريم ـ الحقيقة المحمدية ـ تحية إلى مقام حبيبنا وهادينا الأكرم الى الله العظيم .

الإسراء . . الانطلاق برسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام بمكة الى المسجد الأقصى بفلسطين ، حيث التقى بالأنبياء الكرام فى موقف تكريم ، واستقبال تعظيم .

والمعراج . . عروجه ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى السموات العلا . . إلى سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى ؛ إذ يغشى السدرة ما يغشى .. فما زاغ بصر عن الحقائق ، وما طغى . . .

لقد رأى من آيات ربه الكبرى

وفى القضيتين أحاديث مستفيضة عن الزمان والمكان والكيفية ، وهى مبسوطة فى كتب التفسير والحديث وغيرهما . . .

وللعلماء الكرام آراؤهم وأدلتهم من فهم كريم فى آية أو حديث ، واستشهاد بفهوم الصحابة وآرائهم

وهدفنا اليوم أن نسوق بين يدى العقول ـ كل العقول ـ لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً فقها جديداً ـ بتوفيق الله تعالى ـ بصيراً واعيا شاملا ـ بنور الله العظيم ـ ويشمل : عرض آراء العلم الحديث ، والعلم الروحى ـ فى نظر البعض ـ ورأى الصوفية الكرام ، ثم إلهام الحكمة فى فهم آيات الله العظيم فى الوجود وفى القرآن العظيم .

مع العلم الحديث :

يصور العلم المسألة على الصورة المادية المنطقية التالية :

المسافة بين البيت الحرام بمكة ، وبيت المقدس بفلسطين تقرب من ١٥٠٠ كم ومثلها للعودة يقطعها الراجل فى ٣ شهور والأبل فى نحو شهرين والسيارات فى أسبوع أو أسبوعين والطائرات فى ساعات . . ولم يكن فى زمن الرسول سوى الجمل .. فلا بد من معجزة .. والله العظيم يدعونا أن نفقه من أسرار الوجود ما نستطيع فى أرض وسموات ، فى مادة وحياة : « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض . . أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق إلا من شىء . . » أما عباد الرحمن الكرام فأولئك الذين جاء فى وصفهم : « والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا » .

واستجابة لأمر الله العظيم نستهدى حكمته العالية فى فهم آية من آيات ربنا الكبرى عن بصيرة ويقين . .

إن معجزة الإسراء فى هذا المدى برسول الله الكريم جسداً وروحاً أمر يقبله العلم الحديث ، حيث يسلم بجواز قطع هذه المسافة بهذه السرعة دون خطر على الجسد الحى وطائراته اليوم وصواريخه تقطع بالإنسان ما هو أبعد من ذلك ..

فإن قيل : إن رسول الله ركب البراق فانطلق به ؛ اكتفى العلم الحديث بهذا فقوانينه تسمح بهذا الانطلاق ، وإن كان لا يعرف البراق ..

ومن هنا لا يجد أهل الظاهر من المعتزلة وغيرهم مساغاً للقول بأن الإسراء كان مناماً متعللين بأن الجسد الحى لا يطيق هذه السرعة فى الانتقال فضلا عما فى المنام من بعد عن ظاهرة الإعجاز حيث يتم نظائره لكثير من الناس فضلا عن الأنبياء وكريم الأنبياء ، ثم ما كان ليحدث من جرائه فتور من بعض الصحابة ، وشماتة من الكافرين وما كانوا ليسألوه عن عيرهم ومقدمها ، فيحدثهم عن شربه من مائهم ونفار جمل لهم ..

أما المعراج فهو قضية العقل والبصيرة حقا ، فلنستفت فيها العلم .

إن المعراج صعود إلى السماء الأولى حتى السابعة حتى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى ، فماذا يقول العلم فى البعد بين الأرض والسماء الأولى ؟!.

علم الفلك والطبيعة لا يعرف عن السماء أكثر مما فى كتب اللغة .. السماء

سمو وارتفاع وكل ما علاك فهو سماء ، ومن ثم فليس فى مقاييسه إدراك حقيقة عليا محيطة بالوجود المادى منفصلة عنه اسمها سماء . .

سعة الكون المادى :

بيد أنه يقول : إن سعة الكون المادى من نجوم ومجموعات شمسية ومجرات وسدم تبلغ فى حد علمنا ومراصدنا وعدسات مصوراتنا تبلغ ١٠٠٠ مليون سنة ضوئية ؛ فقد سجل مرصد جبل بالومار بكاليفورنيا مجرات تبعد عنا بمقدار بليون سنة ضوئية ، ومعناه أن الضوء الذى ينطلق بسرعة ٣٠٠٠٠ ألف كم فى الثانية الواحدة يصل إلينا بعد ألف مليون سنة فى فضاء شاسع لا ندرى له - حتى اليوم نهاية - .

ومع ذلك فالعلم يسلم بكون فسيح أرحب من هذا بكثير . . فمعادلة رياضية عند أنيشتين تحسب لا تساع كرة الكون المادى ما يقرب من ٣٥ بليون سنة ضوئية لنصف قطرها ، أى أننا نعيش فى كون مادى ينفسح إلى ٧٠ ألف مليون سنة ضوئية . . وقد يكون أفسح من ذلك . .

وثمة نظرية أخرى تقول : إننا لن نرى من هذا الكون المادى أكثر من ٢٠٠٠ مليون سنة ضوئية أى بليونى سنة من ٣٥ بليونا لنصف القطر كما تقول المعادلة الرياضية . . أما سبب ذلك : فهو ما سجلته المراصد من تباعد الأجرام والمجرات عنا بسرعات جبارة حتى تصل إلى سرعة تعادل سرعة الضوء على مدى ٢٠٠٠ مليون سنة ضوئية ، حيث تتعادل السرعتان . . سرعة تباعد المجرات وسرعة مقدم الضوء إلينا فتتلاشى رؤيتها وتسجيلها على هذا المدى فتصبح نهاية معرفتنا عن كرة الكون المادى لملايين الملايين من الشموش والنجوم والمجرات والكواكب والأقمار — عند ٢ بليون سنة ، ويظل ما بعدها مجهولا لنا تماما . . والعلم فى حيرة من تعليل نظرية تباعد هذه النجوم بهذه السرعات الجبارة والمطردة .

ومن ثم فالعلم المادى لا يعرف — بمقاييسه الحالية — سوى جزء يسير من الكون المادى ولا يدرى شيئاً عن كون مستقل اسمه السماء ، ذلك الشىء الذى إن كان فهو من فوق هذه المجرات والنجوم متساميا بطبيعته عن المادة ومجالاتها وأفلاكها .

ونرى أن نستفتى فى صنعة الوجود كتاب الوجود إتماماً لصورة الوجود

فأين وضع السموات كما يقول القرآن العظيم ؟ .

الكون المادى فى القرآن :

يحدثنا القرآن عن الكون المادى بنجومه ومجراته التى لا تحد مما نراه ومما يخفى عنا سواء أرأينا بليون سنة ضوئية أو رأينا غداً ، بليون سنة ضوئية أو نراه بمعادلاتنا الرياضية ٧٠ بليون سنة لكرة الكون المادى . يقول القرآن : إن كل هذه الأجرام إنما هى ثريات لزينة السماء الأولى التى تحيط بالكون المادى كله ثم من بعدها ست سموات طباقا فى هذا الجلال والجمال بل أروع ، تسكنها الملائكة خلق النور ، يسبحون بحمد الله آناء الوجود لا يفترون ، يمضون فى الكون المادى كله بأمر الله لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ... والآيات فى ذلك كثيرة ولنقرأ منها :

« تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير ... الذى خلق سبع سموات طباقا ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ... ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح »

« والصافات صفا ... إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ... »

« ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها ، وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم » فصلت

فالسماء الدنيا إذا زينتها القدرة الربانية بمصابيح الشموس وكواكب الأراضى والأقمار ... ثم يحيط بها ست سموات ما بين كل سماء وسماء كما بين الأرض والكون المادى والسماء الدنيا ... « ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت » .

« له مافى السموات وما فى الأرض وهو العلى العظيم ، تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الأرض ألا إن الله هو الغفور الرحيم » الشورى

وفى ذلك يقول الرسول الكريم : « أطت السماء وحق لها أن تئط ، مافيها موضع قدم إلا وفيه ملك راكع لله أو ساجد » . أما الملائكة فهم خلق النور كما يقول الحديث الآخر ...

ومعنى هذا أنه بيننا وبين السماء الدنيا — نحو — سكان الكون المادى — بلايين السنين بسرعة الضوء فما بالنا بالسموات السبع فسدرة المنتهى عندها جنة المأوى ... ومن ثم فليس فى مقاييس العلم المادى ولا قوانينه

ما يفسر معجزة المعراج . بالجسد الشريف .

مع الصوفية الكرام :

وهنا يتدخل الصوفية الكرام ليقدموا حلا ملخصه . . أن الجسد الشريف قد تحول إلى نور حتى يتكيف مع طبيعة السمو إلى ما فوق السموات

والعلم الحديث يسلم بأن الجسد الشريف من النور ؛ بل إنه يقول إن كل الكون المادى من النور ذلك أن الأرض كانت قطعة من الشمس أو نجما آخر ، والأرض والشمس تشمل نيفاً وتسعين عنصراً غازياً وسائلا وجامداً وكل العناصر مكونة من ذرات لا ترى بأكبر المجاهر ، وكل ذرة عبارة عن مجموعة شمسية كمجموعتنا الشمسية مكونة من شحنة كهربية موجبة فى المركز تدور من حولها الكترونات — شحنات سالبة — .

ومعنى ذلك أن طبيعة كل مادة من الكهربا أى النور . . ويزيد على ذلك ما يأتى :

إن تحويل ظلال المادة إلى إشعاع ونور ينطلق بسرعة الضوء أمر مسلم به ، فظاهرة التليفزيون والرادار ونقل الصور بالراديو إلى الجرائد والمجلات — إنما يتم بتحويل ذرات الصور المادية فى الفوتوغرافيا (الكوداك الالكترونى) إلى ذبذبات كهربية تنطلق عبر الأثير ثم تجمع فى جهاز الاستقبال (على شاشة التليفزيون أو الردار .)

ومن ثم فهم يتطلعون مستقبلا إلى نقل صور كاملة بل قطعاً مجسمة بل مناضد وأرائك عبر الأثير بعد تحويلها إلى ذبذبات كهربية أى إلى ذراتها الأولى النورانية . . وتشاهد أوربا اليوم فى السينما العلمية شرائط لهذه النظرية — وشوهدت كذلك عندنا . .

ومن قبل شاهدت النبوة الكريمة وأمة سليمان عرش بلقيس يطير من اليمن إلى فلسطين بنفس هذه القوانين — بسرعة الضوء بعد تحويله إلى ذراته الأولية — فسجد سليمان شاكراً لله أنعمه وفضله ، وقص القرآن ذلك بعدها بعشرات القرون ومضى على المسلمين أربعة عشر قرناً فما دروا — يقينا — هذه القوانين — وما حاولوا أن ينظروا فى ملكوت السموات والأرض بالعلم والمعرفة فسبقهم إليها غيرهم ، ولكنها اليوم تعود إليهم بنور توفيق الله العظيم .

بيد أن العلم إن سلم بنقل المادة

المجسدة بعد تحويرها إلى ذبذبات كهربية فهو يرفض ذلك التفسير بالنسبة للجسد الحي الذى لا بد أن تفارقه الحياة عند هذا الحد فضلا عن أنه لو قد تم ذلك لاحتاج الانتقال فى الكون المادى فقط بسرعة الضوء ٧٠ بليون سنة .. فضلا عن السموات العلى والعودة منها .

فرأى الصوفية الكرام وإن كان مسلماً من تحوير الجسد الشريف إلى نور فهو غير مسلم لنهايته .. فلنتركهم إلى حين ..

مع علم النفس :

يرى علم النفس أن المعراج رؤيا — مع الحس ومن فوق الحس — فى ساعة من الصفاء النفسى الرفيع حلقت فيها القوى الإدراكية والخيالية والتصورية الجمالية إلى آفاق عالية فى لحظات من اليقظة الواعية فمرت بهذه المشاهد الرائعة التى كونت قصة المعراج والإسراء ..

ولاشك أن الرسول الكريم — نفس تسامت حتى أصبحت الأرض والسموات بالنسبة لها دوائر صغيرة، لاتملأ كيان نفسه ، فتعالى عن كل ذلك فتهيأ لهذه الرؤيا فى آفاق من النور العالية..مناماً أو بين المنام واليقظة —

وأهل التفسير الظاهرى قد يسرهم هذا الرأى يهشون له ويغتمون به السلامة من أعباء التحليق فى سموات الفكر والبصيرة ..

ويقرب منه تصور المعتزلة وعليه بعض الصحابه ...

وبمثله يقول الأستاذ محمد حسين هيكل فى كتابه — حياة محمد — حيث يرى أن لحظة من لحظات الصفاء النفسى أحاطت نفس محمد العظيم بالوجود كله أرضه وسماواته ومافوق سماواته ، وبالزمن كله سابقه ولاحقه، حتى شاهد الأنبياء قد تجمعوا من حوله يصلى بهم ويصعد إليهم فى سماواتهم، ويشاهد مستقبل الأحداث كما يصوره له القرآن العظيم .. « يتبع »

الإسلام والعمل

عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إذا قامت الساعة ، وبيد أحدكم « فسيلة » — النخلة الصغيرة — فاستطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها فله بذلك أجر »

صدق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رقية للخضر

فى علاج الألم

قال تاج العارفين أبو الحسن أحمد ابن أبى الحوارى رضى الله عنه ، علمنى الخضر عليه السلام رقية للوجع فقال : إذا أصابك وجع فضع يدك على الموضع وقل : « وبالحق أنزلناه وبالحق نزل »

فلم أزل أقولها على الوجع فيذهب لساعته ،